

التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي

ينقسم التشبيه باعتبار أفراد وجه الشبه أو تركيبه وحسيته أو عقليته إلى تشبيه تمثيلي وتشبيه غير تمثيلي وتختلف آراء البلاغيين فى التفرقة بين هذين النوعين وتحديد معنى كل منهما على النحو التالى :

أولا : رأى الإمام عبد القاهر الجرجاني : فرق عبد القاهر بين التشبيه التمثيلي والتشبيه غير التمثيلي فرأى أن التشبيه غير التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه أمرا بينما لا يحتاج إلى تأول وإعمال فكر وصرف عن الظاهر لأن المشبه فيه يشارك المشبه به فى صفته ومثاله تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة فى وجهه وبالحلقة فى وجه آخر . وكالتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخد بالورد والشعر بالليل والوجه بالنهار والسقط بعين الديك .. أو جمع الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور والرجس بمداهن درحشوهن عقيق . وكذلك التشبيه من جهة الهيئة كتشبيه القامة بالرمح فى الاستواء والطول وتشبيه القد اللطيف بالغصن فى التثنى والليونة .. ويدخل فى الهيئة حال الحركات فى أجسامها كتشبيه الذهاب على الاستقامة بالسهم السديد ومن تأخذه الأريحية فيهتز بالغصن تحت البارح^(١) . وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس كتشبيه أطيط^(٢) الرجل بأصوات الفراريج فى قول ذى الرمة :

كان أصوات من إبعاهن بنا أواخر الميس إنفاض الفراريج

وكتشبيه صريف أنياب البعير بصياح البوازي كقول ذى الرمة أيضاً :

كان على أنيابها كل سحرة صياح البوازي من صريف اللوائك^(٣)

(١) البارح : الريح الشديدة .

(٢) أطيط الرجل : صوته .

(٣) السحرة : السحر الأعلى أى أول السحر وهو ما قبل الفجر . والصريف : صوت الناب . واللوائك : جمع لائكة وهى المضغ من لأك الطعام إذا مضغه .

وأشبه ذلك من الأصوات المشبهة له .. وكتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر وتشبيه اللين الناعم بالحرير والخشن بالمسح^(١) ، ورائحة بعض الرياحين برائحة الكافور ، وكذا التشبيه من جهة الغريزة والطباع كتشبيه الرجل بالأسد فى الشجاعة وبالثعلب فى المكر ، والأخلاق كلها تدخل فى الغريزة نحو السخاء والكرم والرفاء واللؤم والغدر . فالشبه فى هذا كله بين لا يجرى فيه التأويل ولا يفتقر إليه فى تحصيله . وأى تأويل يجرى فى مشابهة الخد للورد فى الحمرة وأنت تراها هنا كما تراها هناك وكذلك تعلم الشجاعة فى الأسد كما تعلمها فى الرجل .

ويسمى عبد القاهر هذا النوع : التشبيه غير التمثيلى أو التشبيه الظاهر أو التشبيه الصريح أو التشبيه الأصيل الحقيقى وهو أعم عنده من التشبيه التمثيلى .

الضرب الثانى : التشبيه التمثيلى وهو عند عبد القاهر مالا يكون الوجه فيه أمراً بيناً بنفسه بل يحتاج فى تحصيله إلى ضرب من التأول والصرف عن الظاهر لأن المشبه لم يشارك المشبه به فى صفته الحقيقية ويتحقق ذلك فيما إذا كان وجه الشبه ليس حسياً ولا من الأخلاق والغرائز والطباع العقلية الحقيقية ولكنه يكون عقلياً غير حقيقى أى غير مقرر فى ذات الموصوف . ومثاله قولنا : هذه حجة كالشمس فى الظهور . فقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها . ولكن هذا التشبيه لا يتم إلا بتأول وذلك أن نقول حقيقة ظهور الشمس أو غيرها من الأجسام ألا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها والشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول لأنها تمنع القلب رؤية ما هى شبهة فيه . ولذا توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فساده ، فإذا ارتفعت الشبهة قيل : هذا ظاهر كالشمس . فقد احتجنا فى تحصيل الشبه بين الحجة وبين الشمس وهو إزالة

(١) المسح : كساء غليظ من الشعر .

الحجاب فى كل ، إلى مثل هذا التأويل والصرف عن الظاهر . ثم إن ما طريقه التأويل يتفاوت تفاوتاً شديداً فمنه ما يقرب مأخذه يسهل الوصول إليه . ومنه ما يحتاج إلى قدر من التأويل ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج فى استخراجهِ إلى فضل روية ولطف فكرة فمن الأول ما مر من تشبيه الحجة بالشمس . ومن الثانى قولنا : كلام ألفاظه كالماء فى السلامة كالنسيم فى الرقة وكالعسل فى الحلاوة ، فالمراد أن اللفظ لا يستغلق ولا يشتهب معناه ، ولا يصعب الوقوف عليه فليس بغريب وحشى وليس فى حروفه تكرير وتنافر بكد اللسان فصار لذلك كالماء الذى يسوغ فى الحلق والنسيم الذى يسرى فى البدن ويتخلل المسالك اللطيفة منه ويهدى إلى القلب روحاً ونشاطاً وكالعسل الذى يلذ طعمه وتهش النفس له ويميل الطبع إليه . فوجه الشبه إذاً هو الاستحسان وميل النفس الذى هو لازم من لوازم الحلاوة وقد احتجنا فى إدراكه إل مثل هذا التأويل . وهو أدخل قليلاً فى حقيقة التأويل وأقوى حالاً فى الحاجة إليه من تشبيه الحجة بالشمس ومن الثالث قولهم : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، فوجه الشبه فى هذا التشبيه يحتاج إلى فضل روية ولطف فكرة ، وإلى كثير من التأويل والصرف عن الظاهر حتى يمكن استخراجهِ والوقوف عليه وذلك لغموضه ودقته . وقد سَمى عبد القاهر هذا النوع : التشبيه التمثيلى أو التمثيل وهو عنده أخص من التشبيه . كما بينا ثم يسوق شواهد كثيرة لكل نوع من النوعين فمن شواهد التشبيه قول قيس بن الخطيم :

وقد لاح فى الصبح الثرى لمن رأى

كعقود ملاحية حين نورا

وقول ابن المعتز :

كأن عيون النرجس الغض حولنا

مداهن درخشوهن عقيق

وقوله :

وتروم الثريا فى الغروب مراما كانكباب طمر كاد يلقى اللجاما^(١)

وقوله :

وأرى الثريا فى السماء كأنها قدم تبتت من ثياب حداد

وقوله :

قد انفضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود^(٢)

فوجه الشبه فى هذه الأبيات ظاهر بين لا يحتاج إلى تأويل لأنه من المركبات الحسية ولذا كانت من قبيل التشبيه غير التمثيلى عند عبد القاهر .. وقد مرت بنا هذه التشبيهات .

ومن شواهد التمثيلى قول ابن المعتز أيضاً :

أصير على مضض الحسو د لسان صبرك قاتله
فالنار تاكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

(١) الطمر : الفرس الجواد ، والمراد به هنا أن يكون ذا لون أسود ، واللجام : مفضض فهو كالثريا ، والطمر كالليل ووجه الشبه : ظهور شيء أبيض مستطيل فى جوانب شيء مظلم .

(٢) سقم الهلال : أراد صفوه وأخذه فى الذهاب ، ويتلو : يتبع ، والفاجر : الذى يفتح فمه ، والشره : شديد النهم والرغبة فى الأكل ، فالشبه : الهلال والمشبه به : الرجل الفاجر فمه لأكل عنقود ، ووجه الشبه : هيئة أجرام بيضاء يحيط بها شيء مقوس .